الدمـــام

Le bâton de rouge

لأستاذ جليل

اللعس سواد مستحسن يعلو شفة المرأة أو سواد فى حمرة

قال (التاج) : لعس كفرح لعسا ، والنعت ألعس وهي لعساء من فتية ونسوة لُعس : فى شفاههم — وشفاههن — سواد

وفى اللُّعس جمع اللعساء يقول الزمخشرى : « إذا رأيتَ أبكاراً لُعساً ، وعجائز قُعسا[١] فقل : لعاً[٢] وتعسا !! » قل: لعاً للأبكار اللعس ، وتعساً للعجائز القعس

نعم ما يوصينا به إمام عظيم فى اللغة والأدب ونحلة المعتزلة !

الحق أنّ شيخنا الزمخشري لا يستحى ...

فاللعس هو صِبْغ الله ، صباغ الله ، « صِبْغَة الله ، ومن أحسنُ من الله صبغة ؟ »

ومن هوى كل من ليست مُموِّهةً
تركتُ لون مشيبي غير مخضوب[٣]

وإذا أحب محب أن يرشف ريق رَشوف[٤] أو يَرُفّ شفتيها[٥] أو يترضبها[٦] فإنه يرجع بخير ، إذْ ما فى صبغة الله إلا الطهر . وإن سمى حاسد أو عذول هـذا الرضاب بغير اسمه فقال : هذا بُصاق ! فليس ثمة ضير .

تقول : هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت تقل : قيء الزنابير[٧]

(١) القعس : تقبض الحدب
(٢) لعا : دعاء للعاثر بالسلامة
(٣) الخضب
(٤) يرشف : بضم الشين وكسرها . الرشوف : المرأة الطيبة الفم يصلح لأن يرتشف
(٥) يرفها : يرشفها
(٦) ترضب المرأة : ترشف رضابها
(٧) فى (الوفيات) : أبو اسحق العراقي : أنشدنا شيخنا ابن الخل ولم يسم قائلا :

فى زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هـذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت تقل قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما حسن البيان يرى الظلماء كالنور

وقد رفضت الترقشات[١] المتقيّنات[٢] المتنمّصات[٣] المتَّشمات[٤] تلك الصبغة ، صبغة الله ، وركضن إلى صبغة العطار والصيدلانى فكان تبديلُ خلق الله وتصويره ، وجاء من ذلك — من تلك الدواهى — هذا الوشم فى الجسم واليد والوجه واللثة والشفة . وقد « لعن الله الواشمة والمستوشمة » كما « لعن الله النامصة والمتنمصة » لكن الخبيثات ما يبالين لعناً ولا ذما ، ولا يحسبن للأخرى حسابا

كان وشم الشفاه فى القديم ، وجاءت اليوم هذه (الحمرة) فيها ، هـذا (الموت الأحمر[٥]) وأمسى (التحمير) دين كل شابّة وتابة[٦] ...

وكأن أولئك الحور[٧] العين الحسان الكواعب وهنّ مقلات مدلّات بجمالهن ، ذوات أبهة ، مزدهيات — فكأنهن والذات فى دماء صرعاهن ، صرعى عيونهن !

وكأنّ شفة الرجل بعد تلك الرّشفات خَطْمُ[٨] ضار فى الفلا مفترس

إنه لما عمّت وطمّت هذه البلية التى « ليس لها من دون كاشفة[٩] » وكنا من خدام هذه اللغة رأينا أن يوضع لها لفظة فكانت كلمة (الدّمام[١٠]) المسماة فى الفرنسية Le bâton de rouge فتقول — يازير النساء وطِلّبها[١١] إن شئت أن تقول —

(١) ترقشت : تزينت
(٢) اتقين : التزين بألوان الزينة
(٣) الناصة التى تنتف الشعر من وجهها والمتنصة التي تأمر من يفعل بها ذلك (النهاية) والمناص : المنقاش
(٤) المتشمة : طالبة الوشم ، أصلها موتشمة مثل المتصل أصله الموتصل (اللسان)
(٥) الموت الأحمر : الموت قتلا ، والأغبر الموت جوعا ، والأسود الموت حقاً وغرقاً ، والأبيض الفجاءة
(٦) تابة : تحوز
(٧) احور مفردها : حوراء ، وقد قال المولدون : حورية
(٨) الخطم من السبع بمنزلة الجحفلة من الفرس ، بمنزلة الشفة من الانسان
(٩) ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقفت ، وقيل : الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية (الكشاف)
(١٠) للدمام معان ، جلها قل استعماله ، ومنها الحمرة التى تحمر بها النساء وجوههن ، وحسبها هذه الكلمة ، والدمام طيبرها فى التحمير كما أنه منها
(١١) طلب نساء أى يطلبهن جمعه أطلاب